

سراييفو : المحاضرة 05 - معرفة الله من خلال آياته الكونية و التكوينية و القرآنية.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضن عنا وعنهم يا رب العالمين.

من عرف الأمر ثم عرف تفانى في طاعة الأمر :

أيها الأخرة الكرام، بادئ ذي بدء: أشكر لكم هذه الدعوة، لأنها إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي، وأرجو الله أن أكون عند حسن ظنكم، وإن وجدتم في كلمتي تلك ما كنتم تتوقعون فالفضل لله وحده، وإن لم يكن كذلك فحسبكم الله ونعم الوكيل.
أولاً الآية تقول:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: 6]

معنى ذلك أن الآيات هي القنوات الوحيدة السالكة لمعرفة الله، لأنك إذا عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الأمر، وإن عرفت الأمر ولم تعرف الأمر تفننت في معصيته، وهذا حال بعض البلاد الإسلامية.
والحقيقة الدقيقة أن المرحلة المكية في الدعوة إلى الله تعريف بالأمر، وباليوم الآخر، وأن المرحلة المدنية تعريف بالأمر، فكل السلبات في حياة المسلمين نعزوها إلى ضعفنا بمعرفة الأمر، فإذا ضعفت معرفة الأمر ضعف الالتزام بالدين، ضعفت الطاعة، ضعف الإقبال على الله، ضعف التخلق بأخلاق الله، ضعف تماسك المسلمين، ضعفت وحدتهم، قال تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾

[سورة النور: 55]

هذا قانون ثابت، دائم، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، إذأ مرة ثانية:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا فِي الْقُدُسِ الْأَرْضِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَمَا وَعَدْنَا وَلَكِن لَّيَبْذُلَنَّاهُمْ مِنْكُمْ وَأَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا نُزُلًا ﴾

[سورة النور: 55]

وأنا أنطلق من أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

من قصر في عبادة الله فالله في حل من وعوده :

السؤال: هل نحن مستخلفون في الأرض على المستوى العالم كله الإسلامي؟ وهل هذا الدين ممكن؟ وهل نحن آمنون؟ أربع عواصم أو خمس محتلة من فئات منحرفة، المفتاح في كلمة واحدة في آخر الآية:

﴿ يَعْْبُدُونِي ﴾

[سورة النور: 55]

فإذا قصرنا في عبادة الله فالله في حل من وعوده الثلاث، قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾

[سورة مريم: 59]

وقد لقيت بعض بلاد المسلمين ذلك الغي.

آيات الله هي المسار الوحيد لمعرفة سبحانه :

أيها الأخوة الكرام؛ الآيات التي هي المسار الوحيد إلى معرفة الله أنواع ثلاث، آيات كونية، والموقف الكامل للإنسان للتفكير.

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

[سورة البقرة: 191]

الشاهد:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة البقرة: 191]

والفعل المضارع يتفكرون يفيد الاستمرار.

أما الآيات التكوينية، الكونية؛ فهي خلقه، الموقف الكامل للتفكير، التكوينية أفعاله، الموقف الكامل للنظر، الآيات هي آياته القرآنية، الموقف الكامل للتدبير، الكونية؛ التفكير، التكوينية؛ النظر، القرآنية؛ تدبير، هناك مسلمة مطلقة، كمال الخلق يدل على كمال التصرف، ومن كمال التصرف ألا يدع ربنا عز وجل عباده من دون منهج يسرون عليه، لذلك بعث أنبياءه، وبعث رسله، وبعث الدعاة لدعوته.

ولأن الناس ألفوا أن يتحركوا بلا ضوابط، لأنهم اتخذوا آلهتهم أهواءهم، فلما جاء وحى الله يضبط حركتهم في الحياة وقفوا، قال:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾

[سورة الرعد: 43]

أمثلة عن آيات الله في الكون :

لذلك لا بد من أن يشهد الله لعباده أن محمداً رسوله، وأن القرآن كتابه، لذلك معجزات الأنبياء السابقين كانت حسية، والمعجزة الحسية كتحاقق عود النقباق، تتألق وتنطفئ، وتبقى خيراً يصدقها من يصدقها، ويكذبها من يكذبها، أما نبينا عليه الصلاة والسلام لأنه آخر الأنبياء والمرسلين، ولأن بعثته آخر البعثات، ولأن رسالته خاتمة الرسالات، فلا بد من أن تكون آياته وكلماته مستمرة، ولن تكون مستمرة إلا إذا كانت علمية، لذلك في القرآن الكريم ألف وثلاثمائة آية تتحدث عن الكون والإنسان، فيها آية أمر تقتضي أن تأتمر، تقرأ آية فيها نهى تقتضي أن تنتهي، تقرأ آية فيها قصة تقتضي أن تعتبر، فإذا كان في القرآن ألف وثلاثمائة آية تتحدث عن الكون والإنسان، هذه الآيات ماذا تقتضي؟ أن تتفكر في خلق السماوات والأرض، الآية تقول:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة البقرة: 191]

من هذه الآيات الأرض تدور حول الشمس في مسار بيضوي- إهليلجي كالببضة - وهذا المسار له قطران قطر أطول، وقطر أصغر، فالأرض في دورتها حول الشمس هي في القطر الأطول، وصلت إلى هنا القطر الأصغر، والمسافة عن الشمس قلت، فلا بد من أن تنجذب إلى الشمس، وإذا انجذبت تنبخر في ثانية واحدة، ما الذي يحدث؟ ترفع الأرض سرعتها لينشأ من رفع السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، من هذه القوة الجاذبة تنشأ قوة نابذة.

لذلك يد من؟ حكمة من؟ رحمة من؟ ترفع سرعة الأرض لينشأ من رفع سرعة الأرض قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، فتبقى الأرض على مسارها، الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: 41]

الأرض في دورتها حول الشمس تمر باثني عشر برجاً، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

[سورة البروج: 1]

أحد هذه البروج برج العقرب، في هذا البرج نجم صغير، أحمر اللون، مثاقق، اسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، وقد رأيت هذا النجم بعيني، قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

بالمنااسبة الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، أي يدخل بجوف الشمس مليون وثلاثمائة ألف أرض، بينهما مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، وأحد نجوم برج العقرب قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.
هذا الإله يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذلك لعمرى في السَّمَقَالِ شَنِيعِ
لَسَوْكَانَ حَبِكَ صَادِقٌ لِأَطْعَمْتَهُ إِنَّ الْمَحَبَّ لَسَمَنٌ يَحِبُّ بِطَبِيعِ

أنشتاين أكبر عالم فيزياء بالعالم، وصل إلى السرعة المطلقة في الكون، إنها سرعة الضوء، ثلاثمائة ألف كيلو متر بالثانية، والأدق من ذلك متتان وتسعة وتسعون ألفاً وستة وخمسون هل تصدقون أن آية بكلمات معدودة فيها هذه النظرية؟

القمر يدور حول الأرض دورة كل شهر، لو أخذنا مركز القمر ومركز الأرض ووصلنا بينهما بخط، هذا الخط نصف قطر الدائرة في مسار القمر حول الأرض، ضرب اثنين القطر، ضرب البي، ثلاثة وأربعة عشر بالمئة، المحيط، هذا بالشهر، ضرب سنة، ضرب اثني عشر، وألف سنة ضرب ألف، معي رقم كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، إذا قسمت المسافة على الزمن، الناتج السرعة، لو قسمت الرقم على ألف السرعة بالسنة، لو قسمت المسافة على ألف السرعة بالسنة، على ثلاثمائة وخمسة وستين باليوم، على أربع وعشرين، بالساعة، على ستين بالدقيقة، على ستين بالثانية، هي سرعة الضوء، الآية:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج: 47]

أي ما يقطعه القمر حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء بيوم واحد، هذه النظرية العملاقة التي جاء بها أنشتاين وقلب مفاهيم الفيزياء بالعالم. أنا كنت في أمريكا، دخلت متحفاً فضائياً فيه تمثال لأنشتاين، وقفت إلى جانبه مع صورة فيديو، وقلت: يقول هذا العالم: كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون، عظيمة هي أعظم ما تكون، حكيمة هي أحكم ما تكون، رحيمة هي أرحم ما تكون، هو إنسان حي لكنه ميت، آية الحج تقول:

﴿ وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

[سورة الحج: 27]

الأصل فج بعيد وليس عميقاً، المعنى عميق، عندما قال: عميق، أي الأرض كرة، الخط إذا امتد على الكرة يصبح عميقاً لا بعيداً، إشارة واحدة. أخواننا الكرام؛ وهناك إعجاز للنبي اللهم صلِّ عليه:

((لا تقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً))

أشد مكان تصحر في الأرض الربع الخالي، الآن سويسرا، خضراء مع أزهار، ماذا قال النبي؟

((لا تقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً))

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾

[سورة الكهف: 86]

ذو القرنين.

﴿ وَجَدَهَا تُغْرِبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾

[سورة الكهف: 86]

ماذا بعد أمريكا؟ هاواي، ماذا بعد هاواي، عيون ترسل حمماً لعشرة أمتار، الآن موجودة وعندني فيديو، حمم بركانية.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تُغْرِبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾

[سورة الكهف: 86]

آيات الله في النفس :

شيء ثان، قال تعالى:

﴿ سَتْرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت: 53]

شعر الإنسان ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبيغية بكل شعرة، قال تعالى:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[سورة الأنعام: 115]

أي يا عبادي بيني وبينكم كلمتان، منكم الصدق ومني العدل، تتفاوتون عندي بصدقكم، وأنا أعدل بينكم.

التوحيد نهاية العلم والعبادة نهاية العمل :

أما الآية الخاتمة، القاطعة، الرائعة، التي لخصت فحوى دعوة الأنبياء جميعاً قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

[سورة الأنبياء: 25]

التوحيد نهاية العلم، والعبادة نهاية العمل، وهي علة وجودنا.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الفاريت: 56]

طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية. أشكر لكم حضوركم، وأشكر اهتمامكم، وأشكر لهذا البلد الطيب دعوته لي، وإكرامه لي.

الإنسان هو المخلوق الأول المكرم والمكلف عند الله :

الآن أخواننا الكرام، الإنسان حينما يجهل سر وجوده، يخسر خسارة كبيرة، هناك معنى عميق لوجودك.

والحق هو الله، الحق الشيء الثابت والهادف، والباطل هو الشيء العابث والزائل، الحق الشيء الثابت والهادف، والباطل هو الشيء العابث والزائل، إنشاء جامعة، والباطل الشيء العابث والزائل، إنشاء سيرك، والحق هو الله، والإنسان أودع فيه عقلاً غذاؤه العلم، أودع فيه قلباً غذاؤه الحب، أعطاه جسماً غذاؤه الطعام والشراب، فإذا غذى عقله بالعلم، وقلبه بالحب الذي يسمو به، وجسمه بالطعام والشراب تألق، فإذا اكتفى بوحدة تطرف، والفرق كبير بين التطرف والكمال.

بارك الله بكم، وأرجو الله من الأخوة المتقنين هؤلاء نخبة الأمة، الأمة بجامعاتها، والجامعة بأفرادها، والأمة بجوامعها، والجوامع بخطباتها، هؤلاء مهمتهم جلب المعرفة، لأن الإنسان عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، وهو المخلوق الأول عند الله، لأنه قال:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب: 72]

الإنسان المخلوق الأول، والمكرم، والمكلف، لذلك لنا بالحياة مهمة، أي ملخص الملخص ماذا يقول الإنسان إذا أخطأ في حياته؟

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

علة وجودك في الدنيا العمل الصالح، لم سمي صالحاً؟ لأنه يصلح للعرض على الله ومتى يصلح؟ إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة.

أشكر لكم استماعكم وحضوركم، أرجو لكم من أعماقي أن يحفظ بلادكم، وأهلكم، وأولادكم، وصحتكم، ومالككم، السادسة أهم واحدة؛ واستقرار بلادكم.